ثورات الأقاليم العربية ضد السيطرة الاخمينية
(539-331 ق.م)

د. ابتهال عادل الطائي
كلية التربية / جامعة الموصل

تاريخ الاستلام 2005/1/5 تاريخ القبول 2005/12/5

Abstract

The emergence of Akhmenian state in Iran and its policy in expansion made Iraq to be under its influence in 539B.C since Iraq forms the estern gate for the Arab home Land ,the Persians have got the chance to control the rest of its parts . The Persians continued their in vasion for parts of Syria and reached Egypt during the reign of Kampez King Dara ,in some of his plans has tried to contain the Arab Gulf Area and to control the routes of trade but the Akhmenins faced up and down and the Araqis ,Syrians and Agyptians each one of them played a role in weakening the political and military frame of Kores and Dara state . Ravolutions have been repeated insied the Arab regions and these revolutions were the main factors in declining and falling the Akhmenins state under Alexander of Makdonya.

الخلاصة

ادى قيام الدولة الاخمينية في ايران ، وسياستها التوسعية الى وقوع العراق تحت سيطرتها عام 539 ق .م ، والعمل على اجهاض حركته الحضارية ، وتهيأ للفرس بسبب ذلك، ولان العراق يشكل موقعا استراتيجيا مهما ، فرصة التجاوز على بقية اقسامه . فقد واصل الفرس غزوهم لاقسام من سوريا ، وبلغوا في زمن قمبيز الى مصر ، كما توجه دارا في بعض خططه لاحتواء منطقة الخليج العربي والسيطرة على طرق التجارة ومنافذها . لكن دارت الدوائر بالفرس الاخمينين ولعب العراقيون والسوريون والمصريون ، كل من جانبه ، دوراً في اضعاف البناء السياسي والعسكري لدولة كورش ودارا. فتكررت الثورات في الأقاليم العربية، وكانت تلك الثورات من العوامل الرئيسية التي عجلت بسقوط الدولة الاخمينية على يد الاسكندر المقدوني. وهذا ما تحاول صفحات هذا البحث أن تعالجه.

المقدمة

في حدود منتصف الالف الثالث قبل الميلاد شهدت الاقسام الغربية لقارة آسيا قدوم موجات بشرية انحدرت من سهل اواسط آسيا وعلى الارجح من منطقة ايرانويج الواقعة ما بين نهري سيحون وجيحون ، أي المنطقة التي تقع فيها مدن خوارزم وسمرقند(حاليا ضمن دولة تركمانستان) . وتعرف هذه الاقوام باسماء متعددة معظمها اصطلاحية وهي الاقوام الهندية الايرانية بموجب اسم الاقليمين الرئيسيين لنزوح هذه الاقوام وهما ايران والهند او الشعوب الهندية الاوربية بموجب ابعد الاقاليم التي بلغتها هجرات هذه الشعوب وهما الهند واوربا ، او الشعوب الارية بموجب اسم موطنها ايرانوفيج . بينما ترى وجهات نظر أخرى بان منطقة هذه القبائل هي القفقاس ، وانهم استقروا بادئ الامر حول بحيرة اورميا ومنها انتشروا جنوب المناطق المجاورة . وكانت تلك الاقوام تعيش في حياة رعوية بدائية وغير مستقرة شغلها الشاغل الحرب والفروسية وشرعت هذه القبائل في هجراتها من مواطنها الاصلية[1] في الالف الثاني قبل الميلاد وقد سلكت في هجراتها أتجاهات مختلفة ودخل كثير منهم اقطار الشرق الادنى القديم بالاضافة الى اوربا ومن هذه المجاميع التي دخلت ايران منذ الالف قبل الميلاد ونجح بعضها في اقامت العديد من الكيانات السياسية شملت بحكمها معظم مناطق الشرق الادنى القديم : الميديون ، ثم اعقبهم الفرس : الاخمينيون، والفرثيون ، واخيراً الساسانيون[2] .

أن اقدم ذكر للفرس في النصوص المسمارية الاشورية التي تعود بتاريخها الى القرن التاسع قبل الميلاد [3] حيث ذكرت في كتابات الملك شلمنصر الثالث (858 –824 ق.م) حيث كانوا يسكنون المنطقة المسماة بارسوا Parsua الواقعة الى الجنوب الغربي لبحيرة اورميا وفي حدود 800 ق .م هاجر الفرس من منطقة بارسوا بسبب ضغط الاورانيون وساروا باتجاه الجنوب وسكنوا المنطقة المسماة ((سقيز)) وهي حالياً منطقة ايران وكردستان ومع هجرتهم هذه فانهم كانوا خاضعين للاشوريين[4] والمعلومات المتوفرة تشير الى أن هذه القبائل سكنت السهول الممتدة على طول جبال بختياري وفي السهول القريبة من عيلام اسست القبائل المذكورة الاولى وكانت تسمى بارسوما ش Parsumas والتي تكونت من اتحاد القبائل الفارسية في اواخر القرن الثامن قبل الميلاد . تنتسب الدولة الاخمينية الى مؤسسها اخمنيس الذي حكم ما بين الربع الاخير من القرن الثامن وحتى بداية القرن السابع قبل الميلاد ، حيث كان مقر حكمه يقع ضمن سهول جبال بختياري، وبعد فترة قصيرة من تاسيس هذه الدولة اخذت بالتوسع في بلاد عيلام . فمعروف أن العلاميين في هذه الفترة ، القرن السابع قبل الميلاد ، كانوا يمرون بفترة ضعف واضمحلال نتيجة الهجمات المتكررة التي وجهها اليهم

الاشوريون في واخر عهدهم[5] ففسح ذلك المجال امام الاخمينين لتثبيت سلطتهم على المنطقة واقامة دولتهم التي اخذت بالنمو تدريجياً واتبعت سياسة التوسع العسكري وكان ذلك على عهد ابنه جشيش ، خلف الملك جشيش ولدين الاول كورش معروف بالاول والثاني اريارامنا وبعد وفاة والدهما صار كورش ملكاً على منطقة بارسوماش في حدود 650-600 ق . م اما الاخ الثاني فصار ملكاً على فارس وقد دان هذا بالولاء للملك الاشوري اشور بانيبـــال(668-626 ق .م) وارسل الى مدينة نينوى بعض الهدايا رمزاً لولائه . وبعد وفاة كورش خلفه في الحكم ابنه قمبيز الذي استطاع أن يوحد بلاد ايران تحت زعامته ، وبعد وفاته جاء الى الحكم ابنـــه كورش الثاني الملقب بكورش الكبير (559 - 431 ق . م)[6].

وسع كورش ممتلكاته بضم ميديا شمال ايران ، ليديا شرق الاناضول ودحر الملك الليدي قارون ونهب عاصمته سارديس وبعد هذا النجاح توجه لاحتلال المدن اليونانية الواقعـــة فـــي اسيا الصغرى القريبة من ليديا وبين عام 545 -539 ق .م توسع كورش في بلاد مـــا وراء النهر وافغانستان ووصلت حدود دولته حتى الحدود الشمالية الغربية لـــبلاد الهنـــد[7] . لقـــد ساعدت الظروف التي كانت تحيط بمراكز القوى السياسية والعسكرية و المجاورة لفارس على تحقيق طموحات كورش السياسية والعسكرية والتي تمثلت بضعف الدولة الميدية يضاف اليها ظروف والمشاكل التي واجهت الدولة الكلدانية ويضاف لها وجود اليهود وتعاونهم مع الفرس بحيث اصبح وجودهم يشكل الطابور الخامس الذي يمد العون والمساعدة للفرس[8] .

وبعد سيطرته على المناطق المذكورة توجه صوب بابل من خلال بوابـــة اســـيا وهـــي طريق همدان – كرمنشاه خانقين وبعد معركة صغيرة عند مدينة اوبس سنة 539 ق .م قتـــل فيها بيل شار اوصر ابن نبونائيد (556-539 ق .م)وتفرق الجيش البابلي على اثرها ثم تقدم صوب بابل ونجح في دخولها في نفس السنة وبهذا التاريخ تنتهي اخـــر الـــسلالات الحاكمـــة الوطنية في تاريخ العراق القديم[9] . وبسقوط بابل اصبحت جميع المقاطعات التابعـــة ســـابقاً للدولة البابلية ملكاً للاخمينين ومنها بشكل خاص سوريا ، ولم تبقى الا مصر, ففـــي الوقـــت الذي ترك كورش ابنه قمبيز في بابل يهيأ مستلزمات الحملة على مصر سار بنفسه على راس جيش كبير لتهدئة الاوضاع على تخوم امبراطوريته الشرقية ولكنه قتل في هذه المعارك وكان ذلك في عام 530 ق .م[10].

تولى الحكم بعد كورش الكبير ابنه قمبيز (530 -552 ق .م) حكم الامبراطورية ،وبدأ بتنفيذ خطة والده ، حيث سار قمبيز على راس جيش صوب مصر ، وتمكن من استمالة بعض العسكريين اليونان المحالفين لاماسيس فرعون مصر الذين اخبروه عن الاســـرار الدفاعيـــة لمصر حيث تمكن من دحر الجيش المصري ودخول منفس العاصمة المصرية عام 525 ق.م ولاستكمال السيطرة على العالم القديم ، اخذ يخطط لحملات مقبلة كانت واحـــدة منهـــا ضـــد

القرطاجيين الذين كانت لهم السيطرة على غربي البحر المتوسط ، وحملة اخرى ضد واحة أمون (جنوب مصر)، وحملة ثالثة ضد اثيوبيا ، ولكن خطوات قمبيز العسكرية المنطلقة من مصر باءت بالفشل الذريع[11] .

وعلى اثر فشل هذه الحملات اندلعت نيران الثورة في مصر مما اضطر قمبيز الى العودة مسرعاً الى منفس في عام 523 ق . م واخماده نيران الثورة التي نشبت في المدينة المذكورة ضد السيطرة الاخمينية ، وحكم على الملك المصري بسماتيك الثالث بالموت . وفي عام 522 ق .م بلغته انباء ثورة اخيه (بارديا) الذي اعلن نفسه ملكاً على الدولةالاخمينية فقرر قمبيز العودة الى بلاد فارس ، الا انه مات وهو في طريق عودته ، ويعتقد بعض المؤرخين أن قمبيز مات مسموماً بتدبير من الملك دارا الاول [12] .

أدت هذه الاوضاع المضطربة في البلاط الفارسي[13] مضافاً اليها سوء السياسة الاخمينة الى أن تشكل الاجواء المناسبة لثورة الاقاليم العربية ، وكانت من بين تلك الثورات ثورتي عيلام وبابل حيث كانتا سبباً في قيام بقية الثورات ضد الملك دارا ، والحقيقة أن اخطر تلك الثورات هي ثورة بابل لان انفصال بابل عن الدولة الاخمينية يعني انفصال كل الولايات الواقعة في الجهة الغربية من جسم الامبراطورية الاخمينية ، ولقد كلف اخماد هذه الثورة جهداً كبيراً ولهذا فقد جهز دارا حملة كبيرة على بابل بقيادته[14] . كانت اسباب الثورة تتعلق بسوء الاوضاع الاقتصادية ، والضرائب الكثيرة ، وكانت جميع الصلحيات تمنح للفرس فمنهم القادة وحكام الاقاليم والقضاة والموظفون الكبار والصغار ، ولم يكن للفرس او اقليمهم مشمولاً بالضرائب السنوية التي كانت كل الاقاليم ملزمة بدفعها ، حيث يذكر هيرودتس أن ولاية بابل كانت تدفع ايام حكم الملك دارا اعلى نسبة من الضرائب تقدر بالف وزنة (طالنت) من الفضة . علماً بان الطالنت الواحد يساوي 30,3 كغم . وهذا يعني أن ولاية بابل وحدها كانت تدفع سنوياً ثلاثين الف طن و 300 كغم من الفضة ، وولاية مصر كانت تدفع 700 كغم من الفضة مع كمية من الحبوب . وغالباً ما كانت تدفع هذه الضرائب على شكل آنية معمولة من المعادن الثمينة او ملابس او حيوانات[15] . فضلاً عن ذلك عمد الفرس هم وعوائلم على الاستيطان في العراق وممارسة الاعمال التجارية عن طريق وكلائهم ، ويظهر من احدى الوثائق البابلية أن قمبيز ابن كورش كان يمارس اعمال الربا اثناء حياة والده ، ويقرض النقود لقاء ضمان وذلك عن طريق مديره[16]. وكان الفرس في بابل ومصر يؤلفون اكبر طبقة من ملاك الرقيق واقطاب الاراضي ، كذلك فقد تملكوا دور السكن والمخازن والاموال العقارية الاخرى[17]. وجرى تعاون وثيق ما بين اليهود والفرس حيث توفر الوثائق من نفر شاهداً على حقيقة العلاقات التجارية التي كانت قائمة بين الامراء والملكات الفرس وبين موراشو اليهودي فقد كان الامراء وسيدات البلاط غالباً ما يؤجرون بيوتهم وحدائقهم الى بيت موراشو او الى

اشخاص اخرين ، وغالبا ما كان يؤجر بيت موراشو الاراضي الملكية في شكل قطع صغيرة الى تابعيهم او المستاجرين الثانويين[18] .

يضاف الى ذلك الشعور الوطني والقومي والرغبة في التحرر ونيل الاستقلال وادل على ذلك تسمية الثوار انفسهم بنوخذنصر من اجل تاجيج المشاعر الوطنية في نفوس العراقيين وتذكيرهم بالمنجزات والمآثر التي حققها ملكهم المعروف نبوخذنصر الثاني[19].

كل هذه العوامل ادت الى اشعال فتيل الثورة ، حيث اعلن ندنتو -بيل Nidintu – Bel، انه سليل نبونائيد نفسه ملكاً على بابل باسم نبوخذنصر الثالث ، ويظهر أن الزعيم العراقي الثائر قد استحوذ على معابر نهر دجلة وشكل قوة نهرية لهذا الغرض وهي خطة محكمة تمكن بها من منع الجيوش الفارسية من التقدم ضده في وقت ركز بها جيوشه عند الضفة اليمنى لمنع اية قوة فارسية قد تتمكن من عبور النهر . ورغم هذه الاستعدادات نجح دارا في عبور النهر واصطدم مع الثائر ودحره وسار باتجاه بابل . ولكن ما أن وصل الجيش الفارسي الى (زازانا) قرية صغيرة على الفرات ، حتى وجد نفسه وجهاً لوجه مع جيش نبوخذنصر الثالث الذي اندحر ثانية امام دارا وانسحب الى بابل وتحصن داخل اسوارها . ولم تكن امكانيات بابل الدفاعية انذاك قوية حيث انها لم تصلح منذ ما يزيد على عشرات السنين بحيث توقف الزحف الفارسي ، ففي اليوم الثالث عشر من شهر كانون الاول من عام 522 ق .م تمكنت قوات دارا من دخول المدينة وقد اشار دارا الى ذلك في نصه الثلاثي المنقوش على حجر بهستون حيث يذكر كيف : (أن شخصاً من بابل يدعى ندنتوبيل قد جهز جيشاً بعد أن ادعى بانه نبوخذنصر بن نبونائيد واستلم عرش بابل فزحف دارا بنفسه وسحق الجيش البابلي وطارد الثائر حتى عاصمته حيث القي القبض عليه واعدم [20] ويذكر هيرودتس استعدادات البابليين لمواجهة الفرس فقد خزنوا من الطعام ما يكفي الجند المدافعين عنها مدة طويلة من الزمن . وربما لجأ الفرس ايضاً الى الخداع لاحتلال بابل حيث يخبرنا هيرودتس بان دارا قطع انف واذني زوبيروس احد قواده وضربه ضرباً مبرحاً وارسله الى اهل بابل ليوهم الاخرين بهربه من سيده الفارسي غضباً ولجوئه اليهم . ويزيد هيرودتس بان البابليين قد مرت عليهم الخديعة فسلموا زوبيروس فرقة من جيشهم ففتح هو ابواب المدينة لدارا . ويضيف ما فعله دارا باهل بابل مثل تخريبه اسوار المدينة وبواباتها وشنقة لثلاثة الاف شاب[21]. وبينما كان دارا منهمكاً في القتال من اجل عرشه في ميديا وارض فارس قام العراقيون بشق عصا الطاعة مرة اخرى ففي شهر آب من عام 521 ق .م أي بعد حوالي ستة اشهر من احتلال دارا لبابل ، ثارت بابل ثانية بقيادة زعيم آخر اسمه اراكوس اطلق عليه دارا الارمني الذي ادعى هو الاخر بانه من نسل نبونائيد واطلق على نفسه اسم نبوخذنصر الرابع واتخذ لقب ملك بابل . وبدأت ثورته في مدينة دوبالا جنوب بابل وارسل جيشاً تمكن من اخمادها والقبض على الثائر وقتله . حيث

جاء في نص دارا ما يلي : (قلت له سر الى الامام ! قاتل هذا الجيش البابلي الذي يرفض أن يتبعني فزحف فندفارنا ضد بابل بجيشه ((الفارسي)) ومنحني أهوارامزدا دعواته وبارادته قاتل فندفارنا البابليين واسرهم . وبعد انقضاء اثنان وعشرون يوماً من شهر مركزانا القي القبض على اراكوس والنبلاء انصارهم) [22] .

ادت الثورات في بابل الى قيام ثورات اخرى في عدداً من الاقاليم العربية فبعدما تمكن دارا من اخماد الثورات في بابل ، واصل سيره حتى اخمد الثورة في بلاد الشام[23]. ولم تكن مصر بمعزل عن هذه الفتن ، بل شاركت الاقاليم الاخرى في الثورة ضد الحكم الفارسي . وقد تضاربت الاراء حول سبب الثورة في مصر ، فقد قال معظم المؤرخين بان قمبيز عندما غادر مصر عام 522 ق .م ، وتوجه صوب الشام قاصداً ايران ، ليقضي على مناوئيه ويسترد عرشه ، ولى على مصر حاكماً فارسياً يدعى (آرباندس) . وكان حاكماً قاسياً مستبداً ظالماً مما جعل المصريون ينفرون منه ومن الحكم الفارسي عامة ، الى جانب نفورهم ممن عينه والياً عليهم ، الا وهو قمبيز الذي اساء الى المصريين اساءات بالغة قبل رحيله عنهم . ولكن هناك راي اخر يقول أن الثورة التي حدثت في مصر لم تكن ثورة شعبية ضد الحاكم الفارسي ممثلاً في آرباندس ، بل كانت فتنة يقودها آرباندس نفسه ، حيث كان يفكر في الاستقلال بمصر وما جاورها عن حكم الدولة الاخمينية منتهزاً فرصة رحيل قمبيز عن مصر ، وانشغال دارا بالثورات التي حدثت في عيلام وبابل[24] . ولا نميل الى هذا الراي والدليل على ذلك انه عند ما تولى دارا الحكم عمل على التودد الى المصريين والقضاء على مبعث تظلمهم ونفورهم واصلاح ما افسده قمبيز وآرياندس ، فالثورة كانت شعبية وعربية وليست من صنع آرياندس الحاكم الايراني في مصر . وامام هذا الشعور الذي ابداه دارا نحو مصر والمصريين ، وما اقدم عليه من اصلاحات عدة نسى المصريون ثورتهم[25] ، وظل الهدوء يسيطر على الجو العام في مصر من عام 517 – 486 ق . م ، حيث بدأ المصريون بثورة جديدة ضد الحكم الفارسي[26].

وعلى اثر الهزيمة التي لحقت بالفرس في معركة مراثون[27] ، شجع ولاية مصر على اعلان العصيان والثورة مجدداً . بوجه الملك دارا عام 487 ق .م ، أي قبل وفاته بعام واحد ، يضاف لها سبباً اخر ، وهو كثرة الضرائب التي كان يفرضها الحاكم الفارسي على مصر ، حيث كانت المنطقة السادسة والتي تضم مصر وبرقة وليبيا ، حيث يتوجب عليها دفع جزية سنوية للخزينة الاخمينية مقدارها سبعمائة طالنت من الفضة ، يضاف اليها ما تقدمه مصر من غلال تفي باحتياجات مائة وعشرين الف جندي يقيمون في القلاع الاربعة التي شيدها الفرس في مصر[28]. ونستطيع أن نضيف الى هذين السببين واللذان كانا من العوامل المساعدة على الثورة ، سبباً اخر يتمثل بالشعور الوطني ومحاولة الحصول على الاستقلال ، على الرغم من

الاصلاحات العديدة التي اقدم دارا على تنفيذها فـي مـصر والتـي اشـعرت المـصريين بالرضا[29]. الا أن الاصلاحات مهما تعددت شئ والحرية الوطنية شئ اكبر لا تغني عنه أي اصلاحات[30]. لقد وصلت اخبار الثورة الى دارا الذي كان مشغولاً باعـداد حملـة ضـخمة لمحاربة اليونانيين ، فتملكه الغضب وتوعد وصمم على اخماد الفتنة ولكن المنية عاجلته فـي العام التالي أي 486 ق .م فترك لابنـه احـشويرش الاول (486 – 465 ق .م) ، مهمـة القضاء على الثورة ، فنجح في ذلك عام 484 ق .م وعين اخيه اخمينس حاكماً على ولايـة مصر[31] . كما أن المعلومات تؤكد بان بابل قد ثارت مرة اخرى خلال الفترة الواقعة ما بين 484 –482 ق .م مرتين ضد السيطرة الاخمينية . هذا وان النصوص المـسمارية البابليـة تعرفنا باسمي الثائرين البابلين ، اذ كان بعضها مؤرخاً بحكم ((بيل شـيماني Bel -Simani وشمش اريبي Shamash - Eriba ، حيث وصلتنا وثائق مؤرخة باسمه من دلبات (ربمـا قرب قصة الكفل الحالية) وبورسيبا (برس نمرود) قرب الحلة . وقد تمكن الثوار مـن قتـل الحاكم الفارسي زوبيروس ، ويظهر أن صراعاً حدث بين بيل شيماني وشمش اربي في نفس السنة في بورسيبا ، ثم استتب الامر الى شمش اريبي دون معرفة بظروف البلد انذاك ولكـن انقسام الثوار العراقيين على انفسهم ادى الى ضعفهم امام عدوهم الفارسي . وقد ارسل الملك الفارسي زوج اخته لقمع الثورة فتمكن من اخمادها ودخل بابل . فخرب بابل ودمر معابـدها وفي مقدمتها (ايساكيلا) معبدها الرئيسي وزقورة بابل ايضاً . ويعتقد انه خرب مدينة بورسيبا كذلك واضافة الى التخريب الذي احدثه احشويرش الاول في مدينة بابـل وبورسـيبا . فـان كتابات هيرودتس تشير الى انه قد نهب تمثلاً من الذهب للاله مردوخ وصهره والذي تـذكر الاخبار أن طوله يبلغ 18 قدم وباخفاء الاله مردوخ توقفت جميع الاحتفالات بعيد راس السنة البابلية (اكيتو)[32] ، مما اثار احتجاج كهنة مدينة بابل ولكن احشويرش الاول قابل احتجاجهم هذا بان اصدر اوامره بتاسير معظم الكهنة وقتل عدد كبير منهم وخاصة الذين حرضوا على الاحتجاج . وقد كان يقصد من وراء ذلك توجيه ضربة معنوية بعمـق الـضربة العـسكرية تمنعهم من التفكير بالثورة ضد الفرس . وقد جعلت هذه الثورات التي واجههـا احـشويرش الاول في بداية حكمه يتعصب للعنصر الفارسي واعتبر بقية شعوب الولايات مجـرد رعايـا تابعين . ولم يهتم اطلاقاً بالمكانة الحضارية التي كانت تتمتع بها بعض ولايات الامبراطورية الاخمينية مثل ولاية بابل ومصر . ولذلك فقد تخلى عن اللقب الذي اوجده الملك كورش الثاني وهو ((ملك بابل))[33] وبالرغم من أن معظم المصادر الخاصة بالتاريخ الاخمينـي ترجـع سبب تعصب الملك احشويرش للعنصر الفارسي الى الثورات ضده ، الا أن الحقيقـة علـى عكس ذلك اذ أن التسامح الذي ابداه كورش الثاني ودارا اتجاه البلدان التي خـضعت لـسيادة الامبراطورية الاخمينية كان جزءاً من الخطة التي كانت ترمي الى تثبيت اقدام الامبراطورية

الفتية . وبعد أن تم لها ذلك في اواخر حكم الملك دارا بدأ ملوكها اللاحقون يظهرون مشاعرهم الحقيقية تجاه شعوب الولايات التابعة لهم . فمثلاً ثارت بابل مرتين بوجه دارا ولكنه لم يعاملها معاملة الملك احشويرش الاول . ولو كانت الثورات هي السبب الحقيقي للتعصب لكان الاولى بدارا أن يبدأ بهذا التعصب لكثرة الثورات التي اقامت بوجهه . والسبب الاخر في التعصب يرجع الى أن الضرائب الكثيرة والخبرات الفنية التي كانت ترد الى الامبراطورية الاخمينية قد ساعدت على رفع مستواها الحضاري مما دعى الملوك الذين خلفوا كورش ودارا أن يبتكروا للدور الحضاري الذي سبقتهم به بعض الولايات التي خضعت لسلطانهم[34] .

اعقب احشويرش ابنه ارتحشثنا الاول (465 – 424 ق .م) ، والذي استهل مطلع حكمه باغتيال جميع اخوته متذرعاً بثورة اخيه حاكم بلاد البخت[35] . وبعد فترة قصيرة تجددت الثورة في مصر وكانت هذه الثورة بقيادة شخص يدعى ((اناروس Inaros)) الذي تمكن من السيطرة على منطقة الدلتا فقط ، اذ أن مدينة منفس ومصر العليا بقيا خاضعة السيادة الاخمينية [36]. وبعد ذلك قام ((اناروس)) بطلب المساعدة من اثينا التي اوعزت الى اسطولها في قبرص للتوجه الى مصر ، وتمكن ذلك الاسطول من تقديم المساعدة للثورة المصرية ، حيث تم قتل ((اخمينس)) اخ الملك احشويرش الاول وحاكم ولاية مصر ، وبدأت السفن الاثينية تنتقل بكل حريتها في مياه النيل حتى مدينة منفس[37] ، الا أن النصر لم يكن حاسماً فقد استمرت الحرب ست سنوات وعمل الملك ارتحشثنا الاول على اضعاف التحالف بين المدن اليونانية فاغرق اسبارطة بالذهب الفارسي[38] ، واستنفذت مصادر اثينا المالية كما افقدتها الكثير من رجالها وكان على اثينا أن تحتفظ باسطولها في مصر ما دامت الحرب قائمة لم تحسم ، وكان عليها الامداد المستمر لذلك الاسطول وبذلك تمكن من اضعاف موقف اثينا وبالتالي ساعده على اخماد الثورة . حيث اعد عام 455 ق . م حملة عسكرية على مصر بقيادة حاكم ولاية سوريا الفارسي والذي تمكن من محاصرة القوة الاثينية في احدى جزر الدلتا، وتمكن الفرس من العبور الى الجزيرة والقضاء على معظم القوة الاثينية والسيطرة على وحدتها البحرية التي استسلمت عدا القليل الذي التجأ الى مستعمرة كيريني[39] . وتمكن قائد الحملة الفارسية من تاسير الثائر ((انا روس)) وارسله الى بلاد فارس حيث صلب هناك عام 454 ق .م ، وبعد القضاء على الثورة مباشرة جاءت بعض السفن الاثينية لتقديم نجدة اضافية لثورة مصر ولكنها ابيدت لانها لم تكن تعلم بالهزيمة التي لاقاها الاسطول الاثيني على يد حاكم ولاية سوريا[40] . وبذلك تم اخماد الثورة واعادة السيطرة على مصر ولذلك بقيت ولاية مصر هادئة حتى نهاية حكم الملك الفارسي دارا الثاني (424 –404 ق .م) . حيث أن الثورة قد تجددت مرة اخرى في مصر حيث اعلنت مصر استقلالها عن الحكم الفارسي عام 405 ق .م ، وبقيت محافظة على استقلالها طوال ستين سنة ، وان دل هذا على شئ فانما

يدل على أن الامبراطورية الاخمينية لم يعد بامكانها المحافظة على ولايتها ، واخذت هيبة الحكم الاخميني تتلاشى[41] . وكان لذلك مردوداته السلبية على الدولة حيث ادت ثورة الاقاليم الغربية وعلى رأسها مصر ثم انضمت اليها سوريا نقصاً كبيراً في واردات الدولة وهي الواردات الضرورية لدفع العجلة العسكرية [42]. وقد حاول الملك ارتحششتا الثاني (404 – 359 ق .م) اعادة اخضاع ولاية مصر ، التي ثارت في اواخر حكم الملك دارا الثاني ، ولكن محاولته قد باءت بالفشل[43] . ولقد بلغ من ضعف الدولة الاخمينية أن تجرأ بعض الحكام للزحف صوب مقاطعات الدولة ، وهذا اما ما فعلته مصر التي لم تكتفي باعلانها الاستقلال عن الدولة الاخمينية وانما محاولة الزحف نحو سوريا[44] . ومساعدة الثورة فيها ، فلقد عزم الفينيقيون على الثورة ضد السيطرة الاخمينية واسباب الثورة تكمن في المعاملة السيئة التي سار عليها الموظفون الفرس وقد بدأت الثورة في طرابلس ثم انتشرت الى صيدا عام (351 ق .م) وعمت الثورة كل الساحل السوري ، ولكن ارتحششتا الثاني اعد حملة كبرى من بابل وسار بها الى بلاد الشام للقضاء على الثورة التي بلغت اوجها بحيث أن تسعة مدن كنعانية قد تحررت من الحكم الفارسي والحامية الفارسية واعلنت الاستقلال لذلك ما أن سمع الثوار بقدوم الجيش الفارسي المكون من 000, 300 من المشاة و 000, 300 من الفرسان حتى اقاموا التحصينات الدفاعية بحيث أن مركز الثورة في صيدا قد قاموا بقطع الاشجار واشعلوا النار في مخازن خيالة الفرس ثم عبئوا الجنود والسفن والاسلحة والمؤن واستعدوا للصراع وفي ساعة بأسهم احرقوا جميع السفن في الميناء كي لا يحاول بعض المواطني من الهرب واعتصموا ببيوتهم بينما كانت النار تلتهم وتلتهم ممتلكاتهم بحيث ادت هذه المعركة الى استشهاد اربعون الف مواطن اما القلائل الذين اسروا فقد نقلوا الى بابل وبعد الكارثة التي حلت بصيدا استلمت بقية المدن الكنعانية وخضعت مرة ثانية للسيطرة الاخمينية[45] . وتمكن خليفته ارتحششتا الثالث (359-338 ق .م) من استعادة ولاية مصر التي انفصلت عن جسم الدولة الاخمينية مدة ستين عاماً ، حيث انقض في شتاء 343/342 ق .م على مصر وتمكن من احتلالها وكانت حملته على مصر بقيادة شخص يدعى باكواس Bagoas وبالنظر لطول مدة استقلال مصر عن الدولة الاخمينية فقد اضر كثيراً بواردات الدولة الفارسية من الحبوب ، فقد عامل ارتحششتا الثالث ولاية مصر معاملة سيئة . اذ قام بذبح الثور المقدس ((آبيس)) واكل في وليمة اقامها الملك المذكور لأصحابه وقد للمصريين الحمار بدلاً من ثورهم المقدس . وبذلك استطاع أن يعيد للامبراطورية الاخمينية بعضاً من هيبتها ومكانتها[46] . ولكن مؤمرات البلاط الفارسي قد تسببت في موت هذا الملك مسموماً . والحقيقة أن فترة حكم هذا الملك يمكننا أن نصفها بصحوة الموت بالنسبة للامبراطورية الاخمينية وظهور بوادر السقوط والانهيار في عهد دارا الثالث (336-330 ق .م)[47]

فبالرغم من قدرة هذا الملك فانه لم يتمكن من انقاذ الامبراطورية الاخمينية من الخطر الذي كان يتهددها من جراء ظهور دولة مقدونية وشخصية الاسكندر المقدوني ففي تشرين الاول من عام 331 ق .م حدثت معركة كوكميلا الفاصلة والتي آذنت بانهيار الدولة الاخمينية ، ووقوع الوطن العربي تحت سيطرة السلوقيين . (قريبة من الموصل على الطريق المؤدي الى اربيل)[48] .

الخاتمة

أن سقوط الدولة الاخمينية كان نتيجة طبيعية نظراً لوجود عوامل ضعف تنخر في جسم الدولة تدريجياً ، فقد كانت طانت الثورات المتكررة في مختلف الاقاليم والبلدان ، ولا سيما بابل ، ومصر ، تقلق الحكومة المركزية وتشغلها كثيراً الى درجة كانت الحملات العسكرية توجه اليها للقضاء على الثوار ، يضاف الى ذلك تردي الاوضاع الاقتصادية في الاقاليم العربية حيث كانت النفقات الكثيرة التي تنفقها الدولة على تجهيز الجيوش باهضة جداً يقابل ذلك اهمال في مشاريع الري وتحول في طرق التجارة الذي ادى بدوره الى قلة الموارد الزراعية والتجارية مما دفع الملوك الاخمينين الى زيادة الضرائب المفروضة على السكان واخيراً التعصب العنصري في تمييز الفرس عن بقايا الاقاليم العربية فلا ريب أن تقوم الثورات ضد الحكم الاخميني الذي سيطر وبسرعة فائقة على بلدان وشعوب كثيرة ذات حضارات عريقة وتقاليد ونظم ناضجة وشخصية مميزة يمتد تاريخها لالاف من السنين كبلاد الرافدين وبلاد وادي النيل وبلاد الشام ، بينما لم يكن الاخمينيون انفسهم ذو حضارة ناضجة ، فشعر الملوك الاخمينيون بصعوبة السيطرة على تلك الشعوب وبدأو يركزون اهتمامهم على ايران وينظروا الى الاقاليم الاخرى كاقاليم تابعة فحسب . فلاحظنا في صفحات هذا البحث ظهور التحركات الوطنية ذات الطابع القومي في ثورات الاقاليم العربية ورغبتها في نيل الحرية والاستقلال والتخلص من السيطرة الاجنبية .

الهوامش

1) Olmstead,A.T., History of the persian Empire, chicago , 1959.P.16-17

عن هجرات واسماء هذه القبائل ينظر حلمي ، كمال الدين احمد : 3500 عام من عمر ايران ، ط ، كويت –1979 ، ص 21–33 اما بخصوص الاسباب الهجرة فلا نعرف جواباً محدداً ، لان منطقة استيطانهم الاصلية تعد الان واحدة من المناطق الخصيبة الكثيرة الخيرات كما أن تحركات هذه الاقوام صادفت في طريقها مواطن خيرات وخصوبة ونماء مشهورة تاريخياً

وهذا يضعف حجة نقص الموارد الغذائية التي يتذرع بها بعض الباحثين لتفسير هجراتهم لذلك فالراجح أن مجموعة من العوامل حركت ودفعت بهذه الاقوام للهجرة وقد يكون احدها ظروفاً جغرافية طارئة ، كان تاثيرها على الاقوام الرعوية شديداً فدفعها للهجرة ، ومن بيت الاسباب ايضاً تعرض هذه الاقوام لضغط اقوام زحفت صوب مواطنها من ناحية الشرق وهي مجاميع القبائل البدوية ومن بين الاسباب الاخرى الجديرة بالانتباه هي مناطق الجذب الحضارية في الهند والشرق الادنى حيث تواصل الموروثات التاريخية تاكيدها على استمرار الصراع بين البداوة والحضارة ، فقد كانت مراكز الحضارة القديمة تشكل على الدوام نقاط جذب قوية للاقوام البدوية بسبب خيراتها الوفيرة ومظاهر الاستقرار والحياة المزدهرة ، ينظر الاحمر ، سامي سعيد : تاريخ الشرق الادنى القديم بالاشتراك مع الهاشمي ، رضا جواد ، بغداد – بودن تاريخ ، ص 79–80 .

(2 Stronach ,D., "Achaemenid Village At Susa and the persian Migration to Fars " Iraq, Vol.3,1974 , PP 239-248 .

(3 Olmstead . Op.cit , p22–23

أن تاريخ الاخميني في الفترة التي سبقت عهد كورش الثاني غامضة نسبياً وذلك لقلة النصوص والمصادر التي تتحدث عنهم ، سوى ما ورد من الاشارات المتناثرة في الكتابات الملكية الاشورية مضافاً اليها ما كتبه المؤرخون اليونان عن تاريخ الفرس ونستطيع أن نحدد مصادر معلوماتنا عن تاريخ ايران القديم بشكل عام بـ 1– الكتابات المسمارية 2– الكتاب الكلاسيكين 3– التوراة 4– المدونات الايرانية 5– المدونات العربية فضلاً عن المصادر المادية .ينظر : باقر ، طه ، تاريخ ايران القديم بالاشتراك مع رشيد ، فوزي ، الهاشمي ، رضا جواد ، بغداد – 1980 ، ص25–36.

4) حلمي : المصدر السابق ، ص 34–35 .

Calilan, W., The Medes & Persians , London - 1965, P .43 .

5) للمزيد من المعلومات عن هذا الموضوع ينظر : الخاتوني ، عبد العزيز سلطان الياس : علاقات العراق القديم ببلاد عيلام حتى سنة 639 ق . م ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة الموصل –1992 .

6) الاحمد : م . س ، ص 95 –96 .

Ghirshman , R., Iran , England - 1954 , PP . 118 F .

للمزيد من المعلومات عن ظروف نشوء الدولة الاخمينية ينظر : الزرقي ، محسن احمد عبد الله : العدوان الفارسي على العراق في العصر الاخميني ، جامعة الموصل – 1998 ، ص44–45 .

7) Ghirshman : Op.cit , P . 128 .; Olmstead . Op.cit , P.38-41

8) وقد كافئهم كورش بالسماح لمن اراد العودة منهم الى فلسطين كما سمح لهم باعادة بناء هيكل سليمان وقد ترسخت العلاقت الفارسية اليهودية واستمرت حسنة والدليل على ذلك كثرة المديح لحكام الفرس الاخمينيين الواردة في التوراة حيث خصصت العديد من الاسفار لذكر ما قدمه هؤلاء الملوك من خدمات جليلة لليهود . ينظر: العهد القديم : الاسفار عزراونحميا واستير عن هذا الموضوع عن هذا الموضوع ينظر الحديثي : نزار عبد اللطيف : العلاقات العربية الفارسية دراسة تاريخية ، بغداد 1982 ، ص21-23 ؛ حلمي : المصدر السابق ص122-124 .

9) Ghirshman : Op.cit , P . 131 -133

عن تفاصيل دخول كورش لبابل واوضاعها ومشاكلها ينظر : غزالة ، هديب حياوي عبد الكريم : الدولة البابلية الحديثة والدور التاريخي للملك نبونائيد في قيادتها ، بغداد – 1989 ، ص189 –201 ، الاحمد: المصدر السابق ، ص 99 –100 .

10) الزرقي : المصدر السابق ، ص32-43 .

Olmstead . Op.cit , P 49-51

11) الاحمد : المصدر السابق ، ص 103-104 ، باقر : المصدر السباق ، ص 50-51 .

Ghirshman : Op.cit , P. 136 -139

12) باقر : المصدر السابق ، ص 52 ، حلمي : المصدر السابق ، ص 125-126 .

13) عن ظروف وملابسات تولي دارا الحكم ينظر باقر : المصدر السابق ، ص 52-53 .

Culilan : Op.cit , P . 64 -66

14) الاحمد : المصدر السابق ، ص104 ؛ حلمي : المصدر السابق ، ص 126 –127 .

15) باقر : المصدر السابق، ص58 .

16) دندماييف ، محمد : " بلاد بابل في العهد الاخميني " ، في كتاب العراق القديم دراسة تحليلية لاحواله الاقتصادية والاجتماعية ، تاليف جماعة من علماء الاثار السوفيت ، ترجمة سليم طه التكريتي ط2 ، بغداد – 1986، ص458 .

Olmstead . Op.cit , P 77-85

17) دندماييف : المصدر السابق ، ص 463 .

18) المصدر نفسه، ص464 –469.

19) للاستزادة في المعلومات عن الملك نبوخذنصر الثاني ينظر محمد ، حياة ابراهيم : نبوخذنصر الثاني 604 –562 ق.م، بغداد – 1983 .

20) باقر ، المصدر السابق ، ص54 ؛ الاحمد : المصدر السابق ، ص104 ؛ رو ، جورج : العراق القديم ، ترجمة حسين علوان حسين ،بغداد 1984 ،ص 546 .

Macquen , G .J.,: Babylon, London-1964 , P .218

21) الاحمد : سامي سعيد : " الصراع خلال الالف الاول قبل الميلاد 933-331 ق . م " في كتاب الصراع العراقي الفارسي ، بغداد -1983 ، ص 83 -84 .

Herodotes : The History translated by Harry Carter , Oxford -1962 P.225-227 .

22) الاحمد : الصراع خلال الالف الاول المصدر السابق ، ص 84 ؛ رو : المصدر السابق، ص546 -547

Macqueen : Op.cit, P .218-219 , Olmstead : Op.cit p. 134-138 .

23) الاحمد : تاريخ الشرق الادنى المصدر السابق، ص 104-105 .

Macqueen: Op.cit , P .218-219

24) جمعه ، بديع محمد :" العلاقات المصريه الايرانية في عهـد داريـوش الكبيـر 522-486ق.م"مجلة الشرق الاوسط ، ع 3 ، القاهرة -1976، ص71-72 ؛حسن ، سليم : مصر القديمة ، القاهرة - بدون ، ج 13 ، ص 31 .

25) ومما تجدر اليه الاشارة أن هذه الاضطربات والثورات قد دفعت دارا الى اجراء جملـة من التنظيمات الادارية والاقتصادية خلال الفترة الممتدة 518-514 ق . م هدف من خلالـه تمكنه من السيطرة على الدولة الواسعة الارجاء ومعروف احمد أن النظام الاداري الذي اتبعه دارا والقائم على تقسيم الدولة الى مقاطعات والمقاطعة الواحدة بدورها تقـسم الـى وحـدات ادارية اصغر والوحدات الاخيرة تقسم الى وحدات اصغر منها هو نظام عراقي اقتبسه الفرس من بين جملة المظاهر الحضارية العراقية ، عن هذا الموضوع ينظر الطائي ، ابتهال عادل : اصالة الحضارة العراقية القديمة واثرها في الحضارات الاخرى في مجال العلوم الانـسانية ، جامعة الموصل -1996 ، ص159-165 .

Culilan : Op.cit , p.70-74 .

26) جمعة : المصدر السابق ، ص 72 .

Olmstead : Op.cit , p227-228

27) شهدت الامبراطورية الاخمينية على عهد دارا صداماً قوياً بينها وبـين الامبراطوريـة اليونانية وكانت اسباب هذه الحروب تتمثل بمضايقة السفن الفارسية للسفن التجارية اليونانيـة من جراء احتلال قمبيز لمصر ومن جراء سيطرة دارا على مضيق البسفور والدردنيل فضلاً عن تحريض اليونان المدن الاقاليم اليونانية والتي تتمثل بجزر الارخبيل اليوناني وفي اسـيا الصغرى بضمنها كريت وقبرص ومالايطية عاصمة هذه المدن وبداية سلسلة من الحـروب والتي عرفت بالحروب اليونانية -الفارسية ، وعرفها هيرودتس بالحرب الليدية ينظر : رشد،

عبد المنعم : اليونان والرومان دراسة في التاريخ والحضارة ، بالاشتراك مع عبو ، عادل نجم، جامعة الموصل 1993 ص 80 -102 .

Culilan : Op.cit ,p 74 – 79

28) سليم : المصدر السابق والجزء ، ص 4-5 ؛ السيد ، رمضان عبده علي : معالم تاريخ مصر القديمة ، القاهرة -1986 ، ص625 .

Olmstead : Op.cit , p234-235

29) عن اصلاحات دارا في مصر ينظر جمعة ، ص 74 - 79 .

30) جمعة : المصدر السابق ، ص 88-89 .

31) باقر : المصدر السابق ، ص 68 ، الرافعي ، عبد الرحمن : تاريخ الحركة القومية في مصر القديمة من فجر التاريخ الى الفتح العربي ، ط1 ، القاهرة - 1963 ، ص 174 ؛ السيد : المصدر السابق ،ص625-626

32) الاحمد : الصراع خلال الالف الاول المصدر السابق ، ص 86 ؛ باقر : المصدر السابق ، ص68 ؛ رو : المصدر السابق ، ص 547-548 .

Macquae : Op.cit, P .220 ; Olmstead : Op.cit, p 236-237 ; Herodotes : Op.cit , p78

33) باقر : المصدر السابق ، ص68 ؛ الاحمد : تاريخ الشرق الادنى المصدر السابق، ص122-Σ.

34) باقر : المصدر السابق ، ص 68 -69

35) هناك ظاهرة تلفت الانتباه في تاريخ الدولة الاخمينية ، وهي ظاهرة قتل الاخوة ويكمن السبب في ذلك أن سيطرة الدولة على اجزاء واسعة من العالم القديم قد دفعت من مكانة ملوكها كثيراً فاثارت رغبة العديد من المقربين الى البيت الحاكم في الحصول على هذه المنصب فبدأت المؤامرات تفعل فعلها وكان من نتاجها اغتيال احشويرش الاول ، واغتيال ارتحششتا الاول لجميع اخوته ، واغتيال احشويرش الثاني من قبل دارا الثاني ينظر باقر : المصدر السابق ، ص69-70

36) باقر : المصدر السابق ، ص 70 ؛ حلمي : المصدر السابق ، ص 133 ؛ الرافعي : المصدر السابق ، ص175 .

37) رشاد : المصدر السابق ، ص113

38) الاحمد : تاريخ الشرق الادنى المصدر السابق ، ص 124 .

39) رشاد : المصدر السابق ص 113 .

40) باقر : المصدر السابق ، ص 70 ؛ السيد : المصدر السابق ، ص 626 – 628 .

Olmstead : Op.cit, p363-364

41) باقر : المصدر السابق ، ص 71 ؛ الرافعي : المصدر السابق ، ص 175 ، وعن السلالات التي تولت الحكم في مصر في هذه الفترة ينظر السيد : المصدر السابق ، ص 629 ومابعدها

Colilan :Op.cit, p.158

42) باقر : المصدر السابق ، ص125 .

Olmstead : Ibid , p.373-374

43) باقر : المصدر السابق ، 74 ؛ السيد : المصدر السابق ، ص628.

44) باقر ،المصدر السابق ، ص126

45) حلمي : المصدر السابق ، ص135.

46) باقر : المصدر السابق ، ص74-80 ؛ الاحمد : تاريخ الشرق الادنى المصدر السابق ، ص 126 -130.

47) السيد : المصدر السابق ، ص 646

Olmstead Op.cit , p 406-407

48) Culilan : Op.cit , p .166-167